محاضرات النقد الأدبي الحديث

المرحلة الرابعة

أ.د. فيصل غازي — أ.د. سحر ريسان

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ثانياً: المناهج النصية

هي المناهج التي توجه اهتمامها إلى النص الأدبي وتحاول عزله عن سياقاته الاجتماعية والتاريخية والنفسية وإثبات قدرة النص على الاكتفاء بذاته، وبذلك تكون العملية النقدية فعالية (داخل/نصية)، والنقد النصي هو نقد شكلاني لم يعد يهتم بمضمون العمل الأدبي، بل هو دعوة إلى الظواهر والشكل، وبذلك فإن النقد لا يبحث في وظيفة الأدب، وإنما يهتم بطبيعة الأدب ويطرح سؤال: ما الأدب؟

واستفادت هذه المناهج كثيراً من دروس (دي سوسير) ومن الآراء والأفكار التي جاءت بها الحركة الشكلانية الروسية مطلع القرن العشرين.

أ- الأسلوبية:

نشأت الدراسات الأسلوبية في بدايات القرن العشرين متأثرة بالأفكار التي حاولت أن تبعد النقد عن سياقاته الخارجية وتتوجه إلى النص نفسه. ويمكن أن يُعدّ (شارل بالي) تلميذ (دي سوسير) مؤسس الأسلوبية، إذ إنه أكد على وجود نوع من الترابط بين الألسنية من ناحية واتجاهات دراسة الأساليب التعبيرية من جهة ثانية.

والأسلوبية هي المحاولة العلمية لدراسة الأسلوب الأدبي، وهي منهج دراسة الأسلوب، وهي جملة المبادئ والمعايير الكبرى التي يُحتكم إليها في تمييز الأسلوب وتحليله، والأسلوبية "هي البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب"[30].

ولقد جاءت الدراسات الأسلوبية نتيجة الإحساس بضرورة تطوير الأفكار النقدية والبلاغية واللغوية، فواقع الدراسات السابقة يشير إلى الاهتمام بشخصية الأديب وتاريخ حياته، أي أنها تحيط بالأديب أكثر من دراسة جوهر العمل الأدبي وهو النص اللغوي.

وقد استفادت الأسلوبية من فكرتين مهمتين من علم اللغة الحديث عملتا على ظهور (علم الأسلوب) وهما:

- **الفكرة الأولى:** هي التمييز الذي أقامه (دي سوسير) بين (اللغة) التي هي مجموعة القواعد الكلية وهي رموز اجتماعية متعارف عليها و(الكلام) الذي هو تحقيق فردي لهذه القواعد، فهو صورة اللغة المتحققة في الواقع في استخدام فرد معين، وهذا الاستعمال يطابق اللغة في صفاتها الأساسية ولكنه يختلف في تفصيلاته من فرد إلى آخر، فلكل فرد من المتكلمين باللغة طريقته في نطق الحروف، ولكل معجمه اللغوي الخاص به.
- **الفكرة الثانية:** إن الاختلافات اللغوية تعود في الغالب إلى اختلاف الموقف، فاللغة- بوصفها نظاماً اجتماعياً- تأخذ أشكالاً متعددة، فلكل مجموعة من الناس طريقتها في استخدام اللغة،

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ويؤدي إلى هذا الاختلاف في استعمال اللغة مجموعة من العوامل وهي (الجنس - العمر - المهنة - البيئة الاجتماعية- المناسبة الاجتماعية)، إن هذه الاختلافات وغيرها تشترك في تكوين الموقف الذي يتحكم في إنتاج الأسلوب، ويجعل منه مختلفاً ومناسباً في الوقت نفسه[31].

- هدف الأسلوبية:

تهدف الأسلوبية إلى تحليل النص الأدبي لغوياً من خلال تقسيمه على مستويات عند دراسته وهذه المستويات هي:

- **التحليل الصوتي:** يدرس الشكل الموسيقي للصوت، إذ يدرس الحروف كأصوات لغوية على سبيل المثال؛ في الشعر يحلل التراكيب الصوتية الموسيقية للحروف في الموسيقى الخارجية؛ على مستوى الوزن والقافية، في المستوى الداخلي؛ على مستوى البديع كالسجع والجناس.
- **التحليل التركيبي:** يدرس النظام اللغوي المكوّن للنص الشعري أو النثري على حدّ سواء، من ناحية الجمل بوصفها وحدات وظيفية، مثل: نوع الجملة إذا كانت خبرية، شرطية، استفهامية، مركبة، ونوع الجملة من حيث علاقات الإسناد.
- **التحليل البلاغي:** يُدرس فيه الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، والاستعارة، وفعاليتها، والمجاز العقلي والمرسل، والبديع ودوره الموسيقي ونحو ذلك.
- **التحليل الدلالي:** يدرس دلالة الكلمات، ويدرس المعاني المباشرة وغير المباشرة، ويركز على المفردات بوصفها وحدة دلالية تنحرف عن أصلها اللغوي وتخضع لمستويات التشبيه والاستعارة والكناية وما إلى ذلك[32].

- معايير التحليل الأسلوبي:

- **الانزياح (العدول):** وهو الخروج عن المألوف في استعمال اللغة إلى استخدام جديد. ولا يُعدّ كل انزياح ظاهرة أسلوبية، إذ لا بدّ أن يصاحب الانزياح وظيفة جمالية وتعبيرية، والانزياح هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مطابقاً للمعيار العام المألوف، إذ أن النص الأدبي كلما ابتعد في لغته وأسلوبه عن اللغة المعيارية فإنه يشكل دلالات جديدة وينقل البناء النصي من سمته الإخبارية إلى سمته الأدبية. والانزياح هو الأساس الذي يشكل الصورة الفنية والشعرية في النصوص الأدبية.
- **المنظور الإحصائي:** ويُطبق من خلال الاهتمام بمعدل تكرار بعض العناصر اللغوية، فالعنصر الذي يتكرر أكثر من غيره، أولى بالدراسة، لأن تكراره يعني أنه سمة أسلوبية في النص، وأن الكاتب يعوّل عليه أكثر من غيره.
- **مبدأ الاختيار:** وهو انتقاء الوسائل اللغوية المناسبة من النظام اللغوي لتأدية المعنى والتعبير عنه ويتم على أساس التعادل أو التشابه أو الاختلاف، أي على أساس الترادف والاختلاف، ويرى بعضهم أن في الاختيار الواعي لأدوات التعبير يكمن الأسلوب الأدبي[33].

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

- النظرية التواصلية:

يعتمد تراث الفكر الأسلوبي في تعريفه للأسلوب على ثلاث دعائم، هي المرسل والمرسل إليه والرسالة. وهذا المثلث وثيق الصلة بنظرية الإبلاغ التي تكلم عنها (رومان ياكوبسن)، إذ صاغ (ياكوبسن) نظريته في التواصل، وقال بأن لكل عنصر تواصلي وظيفة يؤديها داخل عملية التخاطب وكما يأتي:

- **المرسل:** الذي يولّد الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية والتي تقوم على التعبير عن عواطف المرسل أو موقفه إزاء موضوع ما، والمرسل هنا هو المؤلف أو الكاتب أو الشاعر.
- **المرسل إليه:** وهو الطرف الثاني من العملية التواصلية، وهو القارئ أو المتلقي، وتتولد عنه الوظيفة الإفهامية، وتتجسد هذه الوظيفة في صيغتي الدعاء والأمر.
- **السياق:** يولّد الوظيفة المرجعية، المؤدية للإخبار باعتبار أن اللغة تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها، فكل نص أدبي يحيل في الغالب على مرجعيات مختلفة (تاريخية، اجتماعية، نفسية، ..... الخ).
- **القناة (الصلة):** تولّد الوظيفة الانتباهية، إذ تحرص على إبقاء التواصل بين طرفي العملية التواصلية أثناء الخطاب، ويندرج تحتها كل ما يلفت به المرسل انتباه سامعه أو قارئه من تأكيد وتكرار وإطناب وأسلوب المخاطب.
- **الشفرة (السنن):** تولد الوظيفة المعجمية، وتسمى وظيفة ما وراء اللغة، وهي تسعى إلى التأكد من أن طرفي العملية التواصلية يستعملان النمط اللغوي ذاته.
- **الرسالة:** أو النص الأدبي، ويولّد الوظيفة الأدبية (الشعرية) وهو ما تركز الأسلوبية عليه، والنص الأدبي هنا هو مجموع الطاقات الإيحائية، إذ إن الذي يميز الخطاب الأدبي كثافة الإيحاء وتقلص التصريح ويتجسد هذا عند الانزياح[34].

- اتجاهات الأسلوبية:

- **الأسلوبية التعبيرية:** يعدّ (شارل بالي) رائدها الأول، إذ أسّس أسلوبيته معتمداً على قواعد عقلانية أسماها أسلوبية التعبير، وعمل على تعريف موضوعها قائلاً: تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي إن (بالي) يؤكد على أن كل فكرة تتحقق في اللغة ضمن سياق وجداني، تكون موضع اعتبار إما عند المتكلم وإما عند المتلقي، وبذلك فإن (بالي) يعطي القيمة للطابع الوجداني (العاطفي) للغة.
- **الأسلوبية النفسية:** يعدّ (ليو سبيتزر) من أهم مؤسسي الأسلوبية النفسية، وتأثر بآراء (فرويد) وترصد أسلوبيته علاقات التعبير النفسي الخاصة بالمؤلف، فهي تبحث في الأسباب التي يتوجه بموجبها الأسلوب وجهة خاصة. إن أسلوبية (سبيتزر) تبحث عن روح المؤلف في أسلوبه اللغوي، ومن هنا اتسمت هذه الأسلوبية بالمزج بين ما هو نفسي وما هو لغوي.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

- **الأسلوبية الإحصائية:**تقوم هذه الأسلوبية بدراسة الأساليب المختلفة تبعاً لمعادلة العالم الألماني (بوزيمان) الذي كان أول من اقترحها وطبقها على نصوص من الأدب الألماني في دراسة نُشرت عام 1925م، إذ يشخّص الأدب تشخيصاً كمياً باعتماده على منهج الإحصاء بوصفه وسيلة علمية عند دراسة الأسلوب الأدبي.
- **الأسلوبية البنيوية:**يعدّ (ميكائيل ريفاتير) رائد هذه الأسلوبية، وتقوم أسلوبيته على دراسة النص في ذاته بتفحص أدواته وأنواع تشكيلاته الفنية، ويتناول النص الأدبي بوصفه رسالة لغوية قبل كل شيء، فتحاول هذه الأسلوبية دراسة الجانب اللغوي للنص الأدبي، وترمي إلى تمكين القارئ من إدراك خصائص الأسلوب الفني إدراكاً نقدياً[35].

- الأسلوبية في النقد العربي الحديث:

صدر كتاب (الأسلوب) لـ (أحمد الشايب) عام 1956م ليؤسس للدراسات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، الذي اهتم بهذا التيار النقدي وفق اتجاهين: أحدهما: بالتنظير، والثاني: بالدراسات التطبيقية، ولعلّ من الكتب المهمة في هذا المجال (مدخل إلى علم الأسلوب) لـ (شكري محمد عياد) و(دليل الدراسات الأسلوبية) لـ (جوزيف ميشال)، وكتاب (الأسلوبية والأسلوب) لـ (عبد السلام المسدي).

ب- البنيوية:

قامت البنيوية في منتصف القرن العشرين بوصفها منهجاً لغوياً يمكن له دراسة الأدب دراسة علمية بعيداً عن السياقات التاريخية والاجتماعية، وقد صاغ هذا المصطلح (رومان ياكوبسن) وهي طريقة بحث وتيار فكري جاء كرد فعل على وضع معرفي يتحدث عن تشظي المعرفة، وتفرعها إلى تخصصات دقيقة منعزلة، ولذلك دعت البنيوية إلى النظام الكلي (البناء) المتكامل والمتناسق الذي يوحد ويربط العلوم بعضها ببعض، بعيداً عن التجزئة. وقد شاعت الدراسات البنيوية بوصفها منهجاً نقدياً وسيطرت على حقول الدراسات الأدبية في خمسينيات القرن الماضي، وذلك بعد أن أفل عصر الإيديولوجيا والنزعة الإنسانية.

والبنيوية منهج نقدي نصي ينظر إلى النص الأدبي بوصفه كياناً لغوياً قائماً بذاته، وينصب اهتمامه على تحليل النص الأدبي من حيث ألفاظه وجمله وتراكيبه ومجازاته وصوره الشعرية، والبنيوية ثمرة من ثمرات التفكير الألسني وتحديداً ما قدمه (سوسير) في كتابه (علم اللغة العام)، وهي محاولة علمية لتطبيق علم اللغة العام على دراسة الأدب، وتعدّ البنيوية فرعاً من فروع الشكلانية الروسية.

والبنيوية منهج وصفي، يرى في النص الأدبي عملاً منغلقاً على نفسه، له نظامه الداخلي الذي يكسبه وحدته، وهو نظام لا يكمن في ترتيب عناصر النص كما هو شائع، وإنما في تلك الشبكة من العلاقات التي تنشأ بين كلماته ونظام بنيته[36].

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وقد صاغ (جان بياجيه) المبادئ التي اعتمدها البنيويون لفهم مصطلح البنية كما يأتي:

- **الكلية:** إن كل بنية تتكون من عناصر، ولكن هذه العناصر لا قيمة لها إلا بالقياس إلى علاقتها بالكل، في إطار تفاعلها مع بعضها.
- **التحولات**إن كل نشاط بنيوي لا يمكن أن يوجد إلا كنظام من التحولات، إذ إن النظام السكوني للغة ليس ثابتاً، بل دائم الحركة.
- **الضبط الذاتي:** أي إن هذه البنيات تُسيّر ذاتها، إذ تحقق انغلاقاً ذاتياً، وبهذا فإن هذه التحولات لا يمكن أن تؤدي إلى خارج حدود البنية نفسها[37].

_ الأسس التي قامت عليها البنيوية:

1- مبادئ الحركة الشكلانية الروسية:

بدأت الحركة الشكلانية الروسية نشاطها النقدي عام 1914م، وقد ظهرت في وقت كان فيها الفكر الماركسي ذو البعد الاجتماعي هو السائد في النقد الأدبي على العموم، وكان مفهوم الانعكاس هو المعتمد في مجال الدراسات الأدبية، وكان التركيز على الجانب المضموني وعلى البعد الإيديولوجي، ولكن أصحاب الحركة الشكلانية قدموا مجموعة من المبادئ التي عرضوا من خلالها لمنهج جديد يركز على الكشف عن القوانين الداخلية المتحكمة في النصوص الأدبية بطريقة موضوعية وأصبحت الشكلانية نزعة ترمي إلى تغليب الشكل والقيم الجمالية على ما في العمل الأدبي من فكرة أو خيال أو شعور، وأهم رواد هذا الاتجاه النقدي (بروب، ياكوبسن)، ومن أهم المبادئ النقدية التي صاغها الشكلانيون وأصبحت أساساً قامت عليه البنيوية فيما بعد:

- السعي إلى إيجاد علم أدبي، الذي يصفه (ياكوبسن) بقوله : ليس موضوع العلم الأدبي الأدب وإنما الأدبية، أي تلك الخاصية التي تجعل عملاً ما عملاً أدبياً.
- التركيز على الواقع المادي للنص الأدبي، أي البنية اللغوية المستقلة، التي لها قوانينها الخاصة من حيث أن الأدب هو استعمال خاص للغة.
- تمييز اللغة الأدبية من لغة الخطاب العادي، فلغة الأدب تختص بظاهرة الانزياح التي تميزها عن اللغة العلمية أو اللغة التواصلية[38].

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

2- الأفكار اللغوية لـ (دي سوسير):

قدم (دي سوسير) في كتابه (علم اللغة العام) مجموعة من الأفكار التي حولت وجهة النقد الأدبي من السياقات الخارجية إلى النص الأدبي نفسه، ويشكل جهده الحجر الأساس الذي يرتكز عليه معظم الفكر البنيوي المعاصر، ومن أهم الأفكار التي قدمها (سوسير):

- **التمييز بين اللغة والكلام.**
- **اللغة نسق أو نظام:** النسق هو مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الكلام الفردي، وتمكنه من أن يكون ذا دلالة، ومن دون هذا النسق يصبح الكلام مجرد أصوات بلا دلالة ولا معنى، ويكمن إسهام (سوسير) في دراسة اللغة برفضه النظرة إلى اللغة بوصفها وحدات مستقلة وتبنيه بدلاً من ذلك لوجهة النظر القائمة على العلاقات، إذ يرى (سوسير) أن اللغة يجب أن لا تدرس بموجب أجزائها الفردية فقط وإنما من خلال العلاقة بين الأجزاء، وهذه العلاقات هي التي تكوّن (النظام اللغوي) الذي يتحقق عبر علاقتين:
  - **الأولى: العلاقات السياقية** ويسميها (ياكوبسن) علاقات المجاورة إذ تكتسب الكلمة عند دخولها في تركيب قيمتها من مقابلتها بما يسبقها أو يلحقها من كلمات، فهي علاقات تقوم بين الكلمات في تسلسلها وتتابع بعضها إثر بعض، بحيث تتألف في سلسلة الكلام، وكلام (سوسير) يشبه إلى حدّ ما كلام الجرجاني في (نظرية النظم).
  - **الثانية: علاقات إيحائية (الاستبدالية)** ، كل مفردة لغوية - ضمن السياق الذي وُجدت فيه - تثير كلمات أخرى بالتداعي والإيحاء[39].

- **ثنائية الدال والمدلول:** اللغة نظام يتكون من علامات، وتتألف العلامة اللغوية من دال ومدلول، وتعمل هذه العلامة على توصيل الدلالة، وهذان العنصران أحدهما (الدال) عبارة عن صورة صوتية أو سمعية أو بصرية (صورة مادية)، أما الآخر (المدلول) فهو تصور (مفهوم) ذهني غير مادي، والعلاقة بينهما اعتباطية[40].
- **ثنائية الدراسات التاريخية والآنية:** لقد كان إصرار (سوسير) على أهمية دراسة اللغة آنياً (تزامانياً) وليس تتابعياً (تاريخياً) مهماً جداً، لأنه تضمن إقراراً بالخواص البنيوية السائدة وأسبقية التحليل البنيوي على التحليل التاريخي، وهذا دليل على تحول الفكر النقدي من الاحتكام إلى الماضي إلى الحاضر.

_ اتجاهات البنيوية:

- **البنيوية الشكلية:** وهي التيار البنيوي الأكثر انتشاراً وجاء متأثراً باللسانيات ومبادئ الحركة الشكلانية الروسية وهو تيار متعدد المذاهب ولا يمكن أن يُصنّف على أنه تيار واحد، والهدف من البنيوية الشكلية الاقتراب من الظواهر المعقدة ودراسة ما فيها من علاقات، مبنية على

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

الاختلاف أو الائتلاف لإدراك النسق الأصيل الذي تصنعه هذه العلاقات، وتنطلق هذه البنيوية في نقدها للأدب من المسلمة القائلة بأن البنية اللغوية تكتفي بذاتها.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner